

معمل الموت العائم

بسم الله الرحمن الرحيم

سلسلة المغامرين الـ ١٣

معمل الموت العائم

تأليف
محمد عبد الحميد الطرزي

دار النفائس


دار النفائس
للطباعة والنشر والتوزيع
شارع فردان ـ بناية الصباح
وصفي الدين ـ ص.ب ١٤/٥١٥٢
برقياً: دانفايسكو ـ ت ٨١٠١٩٤
أو ٨٦١٣٦٧ بيروت ـ لبنان

الطبعة الثانية: ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م

بيان هام

كانت مفاجأة لهم جميعاً ، تلك التي أتت على لسان المذيع الذي قطع إذاعة البرامج وقال :

ـ تنبيه عام . . سنذيع بعد لحظات بياناً هاماً . . بيان سيذاع من جميع محطات الإذاعة والتلفزيون في العالم كله .

تبادلوا نظرات دهشة وقال جعفر :

ـ أي بيان هذا الذي ستذيعه كل محطات العالم ؟ .

أجابه سامح :

ـ حتما إنه يتحدث عن أمر يهم شعوب الأرض كلها .

قال رجب :

ـ لا شك في هذا ، ولكن ما هو ؟ . هل نشبت الحرب ؟ .

أجابته سميرة بهدوء :

ـ هل أثاركم المذيع بكلماته فأفقدكم الصبر . سنعرف بعد قليل . . فصبر جميل .

وسكتت برهة ، ثم تابعت باسمة :

ـ حقاً إنه أمر مثير مهما حاول المرء التظاهر بغير ذلك .

أجابها فهد :

ـ لا شك أننا جميعاً متلهفين لسماع ما سيذاع . . من المؤكد أن شيئاً خطيراً وراء كل هذا .

كانت سميرة أكثر هدوء عندما قالت :

ـ لا أنكر أن الأمر مثير ، كما قلت ، ومع ذلك يجب أن لا يفقدنا قدرتنا على التفكير فيه .

نهض أحمد من مكانه بتكاسل وقال :

ـ لقد مر اليوم دون معارك كلامية . . والآن بين أيديكم المادة التي تصلح محوراً لمناقشاتكم . .

كانت وسيلة تقف عند باب الغرفة ، حاملة بيدها شريط الفيديو ، الذي وصلهم منذ دقائق لآخر سباق سيارات جرى في البرازيل . .

كان رجب أكثرهم لهفة لمشاهدة الشريط ، بعد أن حرم من حضور السباق ، الذي اعتاد حضوره منذ سنوات وبانتظام ، لذلك كانت

كلمات رقم صفر ، التي جاءت فجأة، كمن يصب ماء بارداً على نار متأججة . .

قال رقم صفر يخاطبهم لاسلكياً :

ـ انصتوا كلكم إلى ما أقول ، فيجب أن نكون أول من يطارد هذا المجنون قبل أن يضرب ضربته .

تجمعوا حول وسيلة دهشين ، عندما استطرد يقول :

ـ سمعتم دون شك أن بياناً هاماً سيذاع على العالم كله ، ولذلك رأيت الاتصال بكم لتعرفوا حقيقة الموقف .

كانوا يحملقون في شاشة الجهاز الجديد ، الذي زودهم به ، وشاهدوا شبحاً غارقاً في السواد يتحدث إليهم . .

قال رقم صفر محذراً :

ـ الأمر غاية في الخطورة . . لو نفّذ هذا المجنون تهديده أنزل بالعالم كارثة قد تعرضه للفناء .

هتفت فتنة مدهوشة :

ـ هل أخطات السمع ، أم أنك قلت فناء العالم ؟ .

وقال بومدين بعصبية :

ـ إنسان يملك القدرة على إفناء العالم . ؟

وتساءل رجب :

ـ لا شك أنه يملك سلاحاً ذرياً رهيباً . .

أجابهم رقم صفر :

ـ لقد تسرّعتم بالأسئلة ، ونحن لا زلنا في بداية القصة . .ألا تنتظرون حتى تسمعوا البقية ، ثم تستفسروا بعدها . .

ووهج ضوء قداحته ، وهو يشعل سيجارته ، ثم واصل حديثه قائلاً :

ـ إنه طبيب عالِم في الميكروبات ، تعرض لصدمة أفقدته عقله وأحالته إلى مجنون لا هم له إلا التدمير . . وحتى يكون انتقامه شاملاً ، قرر استعمال أخطر سلاح يملكه البشر . . إنه يفوق في خطورته حتى القنابل النووية ، فهذه ، مهما بلغت درجة تدميرها ، يظل الضرر منها ، مع فداحته ، محدوداً إذا قيس بما يدبر له هذا العالم المجنون . .

استولى على عقولهم بتمهيده المثير ، فقالت وسيلة :

ـ إذن ماذا يملك ؟ .

أجابها رقم صفر جواباً أذهلهم إذ قال :

ـ إنه يملك من الميكروبات الفتاكة ، غير المعروفة ، كمية لو أطلقها ، لفتكت بالبشرية فتكاً ذريعاً .

سأله أحمد :

ـ ولكن هل يعقل أن يقدم على مثل هذا العمل اللاإنساني ؟

كانت إجابة رقم صفر مقنعة إذ قال :

ـ وهل يحاسب المجنون عن أعماله ؟ لقد أفقدوه عقله وها هو اليوم يسعى للانتقام من البشرية كلها . .

تساءلت سميرة :

ـ ولماذا كل هذا الحقد ؟ . بماذا ظلموه حتى يملأ قلبه الحقد إلى حد يسعى لإفناء العالم ؟ .

أجابها رقم صفر :

ـ إنه أصلاً من جنوب افريقيا ، حيث كان يعمل ويجري أبحاثه بنجاح أذهل العالم ، فقد اكتشف فيروسات مجهولة تماماً ، وإن كانت أشد فتكاً من أخطر الفيروسات .

وسكت برهة قصيرة قبل أن يستطرد قائلاً :

ـ أما سبب ما جرى فكان انهيار أعصابه المرهفة عندما اتهم هذا الاتهام الشائن .

سأله أحمد :

ـ وبماذا اتهموه . . ؟

أجابه رقم صفر :

ـ كان معمله يحتاج إلى كميات كبيرة من مختلف أنـواع المخدرات ، يستعملهـا في أبحاثـه . . وفجأة اختفت كميـة كبيرة منهـا ، وقـام هـو بإبلاغ الشرطة . وبعد تحقيق طويل ، وشهادة مسـاعده ضـده ، اعتبر مـداناً ، وحكم عليـه بـالسجن خمس عشـرة سنـة ، بـالـرغم من علو مكانته ودرجته العلمية الرفيعة .

سأله أحمد :

ـ وهل كان حقاً مختلس هذه المخدرات ؟ .

أجاب رقم صفر :

ـ ترددت شائعات وقتها ولكنها تشير إلى براءته ، وأن مسـاعده هـو الذي اختلس المخدرات لنفسه ،ولكن لم يثبت عليه شيء فأخلي سبيله . .

سأله أحمد بدهشة :

ـ وهل ثبت بعد ذلك ما يدينه . . ؟

أجابه رقم صفر :

ـ نعم . . قويت ضده الشكوك عندما قدم استقالته من العمل وقرر مغادرة البلاد . .

تساءل عثمان :

ـ وهل يكفي كونه قدم استقالته دليلاً على اتهامه ؟ .

أجابه رقم صفر :

ـ بالطبـع لا ، ولكن رصيده في البنـك ،الذي أضيف إليـه ،خلال

ثـلاثة شهـور ،قرابـة الثلاثـة ملايـين دولار ، هو الـذي أثار الشـك في أمره ، بالرغم من صدور الحكم ضد العالِم . . وبعد تحريـات دقيقة ، تمت في تكتم ، تـوصل المحقق إلى معـرفـة الحقيقـة من مـدبـرة منـزل العـالِم ، التي أدلت بـأقـوال لم يعـرفهـا المحقق من قبـل ، وكـان في استجوابها هذا الدليل الذي طال البحث عنه .

قالت وسيلة بتردد :

ـ ليتك توضح لنا هذه النقطة . . هل أعيد التحقيق في الجريمة ؟ .

أجابها رقم صفر :

ـ نعم . . خـاصـة بعـد أن تمكن العـالِم من الهـرب من سجنـه ، ومحاولته قتل هذه المدبرة ظنـاً منه بـأنها حبست شهادتهـا متعمدة أثنـاء محاكمته . .

قال عثمان بدهشة :

ـ إن في محاولته هذه الدليـل على أنـه فقد عقله فعـلاً . . يهرب من سجنه ليقدم على جريمة قتل ؟ . وكيف لم يقبض عليه من جديد ؟ .

أجابه رقم صفر :

ـ هبت السلطات لمطاردته ، ولكنـه نجح من الإفـلات ولم يعثر لـه على أثر . . وبعـد مرور خمس سنـوات على اختفـائه خـرج على العـالم بإنذاره الرهيب .

كانوا يستمعون إليه مبهورين عندما تابع قائلاً :

- وبالطبع ما كان لمثل هذا التهديد أن يزعج معهد الأبحاث ، الذي أرسل إليه ، لولا أنه عزز ، بالأدلة القاطعة ، بأنه تهديد يمكن له تنفيذه فعلاً بإطلاق جراثيمه الجبارة لتفني العالم .

قال رجب :

- ألا يمكن الاحتياط من هذه الجراثيم بأمصال مضادة .

أجابه رقم صفر بما زاد من رعبهم :

- وكيف يحصلون على أمصال مضادة والفيروسات مجهولة تماماً . ؟

هتف رجب برعب :

- يا إلهي . . وأين هو الآن ؟ يجب البحث عنه والقضاء عليه أينما كان . .

أجابه رقم صفر :

- من حسن حظ البشرية أنه يجوب البحار على ظهر يخته ، الذي حوله إلى معمل كامل ، حيث أكثر من فيروساته وأعدها لليوم الرهيب ، الذي يهدد به العالم . .

قالت فتنة :

- وهل أمكن تحديد مكانه . ؟

أجابها رقم صفر :

- لا زالت الأخبار مشوشة ، فالحكومات كلها أجمعت على تكتم

الأمر حتى لا تسود الفوضى وينتشر الرعب . . كل ما أمكن لأجهزة الاستقبال تحديده هو أن الرسالة انطلقت من المحيط . . وهناك الآن طائرات ، من دول كثيرة ، تمسح المحيط ، من كل جوانبه ، بحثاً عن هذا اليخت ، وقد صدرت إليها الأوامر بإغراق اليخت ، بعد أن يغادره ركابه إلى زوارق النجاة .

قال عثمان :

- وبالطبع سيكون العالم مع من ينزلون إلى زوارق النجاة ، فهل يصعب عليه حمل بعض الأنابيب وبداخلها هذهالفيروسات الرهيبة .

قال رقم صفر :

- وُضع هذا الاحتمال في الاعتبار ، ولذلك قرروا أن يبقى بمفرده في زورق خاص لا يشاركه فيه أحد . .

قالت وسيلة :

- ولا شك أن هذا لم يتحقق بعد ؟ .

أجابها بأسف :

- نعم بكل أسف . . لقد اكتشف طيار إحدى الطائرات مكان اليخت على مقربة منشواطىء البرازيل ، وكان الوقت قرب الغروب ، فأبلغ كل القوات بمكانه هذا وعاد إلى قاعدته ، ليتزود بالوقود . . وخرجت عدة قطع بحرية ، واتجهت إلى المكان ، ولكن كان الليل لهم بالمرصاد ، فتمكن العالِم المجنون من الاختفاء بيخته وكأنه شبح .

هتف أحمد باستغراب :

ـ وكيف يختفي ؟ . مهما بلغت سرعة يخته فإنها لن تزيد على سرعة الأسطول ؟ .

وضح لهم رقم صفر ذلك فقال :

ـ لا يأخذكم العجب من هذا الاختفاء ، فالمرجح أنه لاذ بأخدود من الأخاديد الكثيرة التي تغطيها الغابات . . إن شواطىء البرازيل مليئة بمثل هذه الأخاديد . .

قال عثمان :

ـ هذا يدل على تنبهه إلى مطاردتهم له .

أجابه بهدوء :

ـ أو يكون متعمداً النزول إلى الشاطىء ، فقد يكون له مستقر في مكان ما من مجاهل غابات البرازيل الغامضة . . ويرجح الجميع هذا الاحتمال ، فمن هذا المكان يمكنه أن يحقق تهديده .

سادهم الصمت فقال رقم صفر :

ـ ومهمتنا الحيلولة دونه ، والوصول إلى مقره هذا بأي ثمن .

استمر صمتهم فتساءل رقم صفر :

ـ ماذا أصابكم ؟ . هل داخلكم الخوف من المهمة .

أجابه عثمان بصراحة :

ـ لا يوصف ما أحس به الآن بأنه خوف أو وجل . . ولكنه نوع من التهيب والاستنكار .

قال رقم صفر :

ـ إنك على حق فيما تقول . . إنه أمر بشع رهيب عندما نفكر في نتائجه . .

أخذ رقم صفر يسألهم كلاً على حدة عن حقيقة شعورهم ، وقد أجمعت إجاباتهم على عدم الراحة لهذه المهمة .

وازدادت دهشتهم عندما سمعوا قهقهة رقم صفر وهو يضحك ثم قال :

ـ رائع ، وهذا ما كنت أرجوه في مشاعركم حيال هذا الحدث الرهيب ؟ . يجب أن تخافوا . . إنني وكل من يعرف ما أعرف عن خطورة الأمر نرتعد خوفاً من هول هذه المهمة . . إن الخوف وحده هو الضمان لنجاحكم ، فسيزداد حرصكم وحيطتكم . . بقي أن أسألكم . . من شاء الانسحاب فهو حر في ذلك . .

بعد صمت ، لم يدم إلا لحظة أو أقل ، تساءل رجب ؟

ـ وهل ستشترك الفتيات في هذه المهمة ؟

قبل أن يجيبه رقم صفر تعالت أصوات الاحتجاج من كل الفتيات . .

كان صوت رقم صفر ضاحكاً وهو يسأل :

ـ ترى هل لا زلت في حاجة لإجابتي يا رجب ؟ .

تراجع رجب بسرعة وقال :

ـ قطعاً لا . . لقد تلقيت الإجابة كاملة غير منقوصة .

قالت وسيلة باسمة :

ـ هذا أفضل . . الآن فلنناقش الامر بهدوء كعادتنا .

أجابها رقم صفر :

ـ سأكون على اتصال دائم بكم . . سأكون ، ولأول مرة ، قريباً بحيث يسعني التدخل المباشر إذا احتاج الأمر . . أمر واحد عليكم أن تضعوه نصب أعينكم . . يجب أن تنتصروا في هذه العملية . . نعم . . يجب أن ننتصر ، فالفشل معناه كارثة عالمية يصعب السيطرة عليها ، أو على ما يترتب منها من نتائج . .

سأله فهد :

ـ هل نصحب أسلحتنا معنا . .

أجابه على الفور :

ـ نعم . . كل ما تملكون من أسلحة ، حتى الاحتياطي منها . إنها معركة حياة أو موت . . فأما النصر ، وما يتلوه من سلام وهدوء ، أو الفشل وعندها سيكون فناء العالم .

وسكت ليهيئهم لما سيقول ثم تابع :

ـ الساعة الآن العاشرة . . فلتكن ساعة الصفر منتصف الليل . .

تبادلوا نظرات دهشة وقال أحمد :

ـ ساعتان لا تكفيان للاستعداد . .

جاء رد رقم صفر صارماً قاطعاً :

ـ كل دقيقة تذهب ستقرب نهاية الملايين من البشر وفناءها .

وبانتهاء الحديث كان عليهم أن يعملوا . . يعملوا وبكل طاقتهم ، ليرحلوا في ساعة الصفر بالضبط .

* * *

في عرض المحيط

كانت الرحلة سريعة وموفقة أدركوا معها ما يتميز به زورقهم من مزايا كان أهمها ، بلا شك ، قدرته الخارقة على الطيران ، وأدركوا أن رقم صفر لم يكذب يوم قال :

ـ إن زورقكم هذا هو الوحيد في العالم بأسره . . إنه زورق وطائرة ، وهو الأول من نوعه في سرعته وقدراته ، ويكفي أنه أول زورق طائر يعمل بمحرك ذري . . نعم . . إنه أول طائرة تعمل بمحرك ذري . .

كان الزورق الطائر يشق طريقه بسرعة رهيبة عندما اتصل رقم صفر فجأة وقال :

ـ عليكم الهبوط إلى البحر يا فهد وانتظر مكالمة مني . .

وبمقدرة وثقة هبط فهد بالزورق إلى سطح الماء ، وكان البحر هادئاً

والجو يميل قليلاً إلى البرودة ، ومع ذلك كان أول ما فعلته فتنة هو الإسراع بفتح النوافذ الزجاجية واستنشاق الهواء النقي بنهم وتلذذ . .

وانضموا إليها ، الواحد بعد الآخر ، ولم يتخلف منهم إلا « فهد » ، الذي بقي في غرفة القيادة لمراقبة جهاز الرادار .

قال بومدين فجأة وبلهجة ساخرة :

ـ أعتقد أن علينا واجبات أهم كثيراً من مشاهدة الطبيعة وكتابة الأشعار في وصفها .

ضحكت سميرة وقالت :

ـ الحق معه . . إنه صراخ الأمعاء . .

وألقت نظرة سريعة إلى ساعتها وتابعت :

ـ لا زلنا في الخامسة وموعد الإفطار هو السابعة . .

تدخل عثمان قائلاً :

ـ أي سابعة ؟ . أقسم لو تأخر الطعام لحظة واحدة لألقيت بنفسي إلى هذا السرب الجائع من أسماك القرش .

ضحكت وسيلة وقالت :

ـ لا خوف عليك منها . . ستولّي هاربة عندما تكتشف وجودك بينها . .

تعالت أصوات ضحكاتهم المرحة وكأنهم في رحلة ترفيهية هدفها النزهة والاستجمام . .

كان فهد منهمكاً في مراجعة أكثر من عدّاد في لوحة القيادة ، وكلها تعمل ألكترونياً وفجأة قال :

ـ إن منسوب المياه في هبوط مستمر ، وأخشى أننا لن نتمكن من الاقتراب من الشاطىء أكثر من هذه المسافة . .

تطلع أحمد حوله وتأمل الشاطىء ، الذي تبدأ من عنده الغابات الكثيفة ثم قال :

ـ طالما أنه ليس باستطاعتنا التقدم فلا شك أن يخت العالِم عانى من الأمر بدوره ولم يرسو إلى الشاطىء . .

أجابه فهد :

ـ هذا صحيح إلى حد ما ، بالنسبة للوافد الغريب الذي لا يعرف المياه في هذه المنطقة . . ولكن الخبير بالمكان باستطاعته ، وعلى ضوء ما مارسه من تجارب سابقة ، أن يعرف الممرات العميقة التي يمكنه أن يسلكها ليصل إلى الشاطىء . .

نظر إليه أحمد نظرة ساهمة وقال :

ـ لا شك أنه استعان بربان عالِم بكل شبر من هذا البحر .

أيده فهد قائلاً :

ـ إنه أمر جائز لا شك . .

سأله أحمد سؤالاً مفاجئاً :

ـ إذن كيف نتصرف ؟ .

أضيء لون أخضر أمام فهد فقال بفرح :

ـ إنه رقم صفر . .

قال رقم صفر :

ـ فهد . . هل أنت بمفردك ؟ .

أجابه فهد :

ـ أحمد وفتنة إلى جواري . .

أجابه رقم صفر بارتياح :

ـ عظيم . . الآن أصغوا جيداً لما أقول . . يجب أن تستعدوا لمغادرة الزورق ، فقد سبقكم هذا المجنون إلى الأدغال حيث شيّد مستعمرة جمع فيها كل رجاله ومعامله . . كل من جمعهم حوله من الأفاقين ، الهاربين من أحكام غيابية صدرت في حقهم . . لذلك يجب أن تبقى الفتيات في الزورق مع إثنين أو ثلاثة منكم .

سألته فتنة :

ـ ولماذا نبقى في الزورق ولا نشترك معهم ؟ .

أجابها بهدوء :

ـ فتنة . . مهما بلغت قوة جلدكن فان الرحلة داخل هذه الغابات أمر يحتاج لجلد الرجال . فالمشقة في شق الطريق ليس وحده هو العائق . . إن الخطر يتربص لكل من يجاذف بمثل هذه الرحلة دون دراية أو دليل يدله على الطريق .

ودون تفكير قال فهد :

ـ كان رجب محقاً عندما اقترح عدم إشراكهن في هذه المهمة .

وقبل أن تجاوبه فتنة قال رقم صفر :

ـ أنت ورجب مخطئان . . إن لهن دوراً كبيراً لا يمكن تجاهله . عليهن تقع مهمة حماية الزورق أثناء غيابكم ومد يد المساعدة عند اللزوم .

سأله أحمد :

ـ هل يفهم من هذا أننا في المكان الصحيح ، وفي الطريق الصحيح الذي سبقنا إليه هذا المجنون . ؟

أجابه رقم صفر :

ـ نعم . . هذا أمر تأكدنا منه بالفعل . . إنه يقيم في قلب الغابة ، وعلى بعد مائة كيلومتر من الشاطىء . . لقد تم إلقاء القبض على كل من تبقى في اليخت ، عندما لحق به رجال البحرية البرازيلية ، ووجدوه في مكانه الذي أحسن اختياره .

سألته فتنة :

ـ وكيف لم يتمكنوا من القبض عليه . . هل نجح في الهرب منهم مرة أخرى ؟ .

أجابها رقم صفر :

ـ هذه المرة لم يهرب ، بل كان يعلم أنه ملاحق ، فأسرع إلى

الشاطىء في الوقت المناسب . .

قال أحمد :

ـ معنى هذا أنه لا يزال في طريقه إلى وكره ، لم يصله بعد .

وتدخل فهد قائلاً :

ـ طالما أنه لا يزال قريباً فاللحاق به أمر محتمل ، إن لم يكن مؤكداً . . فنحن أخف منه حركة .

أجابه رقم صفر :

ـ ستصل إلى مكانكم طائرة هيليكوبتر ، وستلقي لكم بالمعدات الضرورية في مطاردة من هذا القبيل . . ضمن ما سيُلقى إليكم أردية خاصة افحصوها بعناية قبل استعمالها . . إنها من أردية رواد الفضاء التي لا تسمح بمرور الميكروبات إلى داخلها . قد تعيق حركتكم بعض الشيء ولكن فيها نصف الأمان . . لا يدهشكما قولي هذا فإن ما أعنيه بنصف الأمان هو أن ثقباً صغيراً في الرداء قد تتسرب منه الجراثيم وتصل إلى من جسم الإنسان .

سأله أحمد :

ـ وإذا لم يثقب الثوب ؟ . هل يكفل الأمان الكامل ؟

أجابه رقم صفر :

ـ في هذه الحالة ترتفع نسبة الأمان إلى قرابة الـ ٧٥ ٪ .

واستطرد قائلاً ، بعد لحظة صمت :

ـ أحمد . . هل تشعر بالخوف من المهمة ؟ . قبل أن تجيب أفضل أن تعلم إلى أي حد تطوّرت الأمور . .

سادهم الصمت مرة أخرى فتابع قائلاً :

ـ لقد حدّد هذا المجنون منتصف نهار غد موعداً لإطلاق جحافل فيروساته القاتلة ما لم تنفذ كل طلباته .

سأله فهد :

ـ ولماذا لا يستجيبون إلى مطالبه فينقذون العالم من هذا الخطر الداهم ؟ .

أجابه رقم صفر :

ـ ليته ممكناً تنفيذ ما يطلب وإلا ما تردد العالم في تحقيقها . . إنه يطلب مطالب مستحيلة .

سأله أحمد :

ـ لا أعتقد أن هناك أمراً مستحيلاً . .

أجابه رقم صفر :

ـ حتى إذا كان يطلب المناداة به سيداً على العالم ؟ .

أجابه دون تردد :

ـ في سبيل الوصول إلى حل للمأساة ، فما المانع من المناداة به سيداً على العالم طالما أن أمراً كهذا لن يغير شيئاً بشكل فعلي .

قال رقم صفر :

ـ إن هذا وارد وممكن تنفيذه ، ولكن باقي ما يطلبه يستحيل قطعاً الاستجابة إليه . . إنه يطالب بأعضاء المحكمة ، التي حكمت عليه بالسجن ظلماً ، والمدعي العام والشهود ومساعده لينفذ فيهم حكمه الرهيب . . أتدرون أي حكم أعدّ لهم ؟ .

أجابه أحمد :

ـ لا شك أنه قرر قتلهم بطريقة أو بأخرى ؟ .

كان صوت رقم صفر متهدجاً منفعلاً عندما قال :

ـ الموت . . لو أنه الموت لهان الأمر . . لقد أعد لهم ما هو أبشع من الموت .

قال أحمد :

ـ وهل بعد الموت ما هو أبشع . .

أجابه رقم صفر :

ـ نعم يوجد ما هو أبشع . . عندما يحقن المرء بفيروس الجذام كما قرر أن يفعل بأعدائه . .

إقشعر بدنهما من هول الانتقام وقال فهد :

ـ يا إلّه السماوات . .

وردد أحمد :

ـ يا له من انتقام . .

قال رقم صفر :

ـ أرأيتما أن هناك ما هو أفظع وأبشع من الموت . . إنه سفّاح مجنون ، ولا سبيل للخلاص منه إلا بموته أينما كان . . وبهذا صدرت الأوامر . .

أجابه أحمد بغضب :

ـ أقسم أن أطارده حتى أنال منه ، أو أموت دون ذلك . .

ولدهشتهما لم يحاول رقم صفر أن يخفف من الأمر أو يهوّنه بل قال :

ـ لو أنكم متّم في سبيل القضاء عليه لكان أمراً مؤسفاً ، خاصة بالنسبة لي ، ولكن إذا قيس بماسيصيب العالم يصبح أمراً لا يذكر . .

قال فهد :

ـ إذن لا يجب أن نضيع المزيد من الوقت . .

أجابه رقم صفر :

ـ سأكون دائماً على مقربة منكم ، حتى إذا تحتم الموت فلن أدعكم تموتون وحدكم . سنكون معاً حتى في السماء .

غلبهما التأثر الشديد واستمر رقم صفر يقول :

ـ ترقّبوا ظهور الطائرة فلن يتأخر وصولها ، ومتى انتشلتم المعدات اتجهوا فوراً إلى الشاطىء ، ولن يكون صعباً العثور على آثارهم . . تتبعوه وكونوا على حذر ، ولا تدعوه يتنبه لوجودكم وإلا نفذ تهديده اعتقاداً منه أنكم مجندون من دولة من الدول . . لن تتمكنوا منه إلا إذا باغتموه

بهجوم ساحق ، لا يتيح له فرصة تنفيذ تهديده . . ولتبق الفتيات في الزورق ومعهن ثلاثة منكم . .

وما أن أنهى رقم صفر حديثه حتى قال فهد :

ـ سأنزل أحد الزوارق المطاطية إلى الماء لنكون على أهبة الاستعداد للانطلاق متى وصلت الطائرة . .

وتركه أحمد لينفذ ذلك واتجه إلى حيث يجلس الأصدقاء . . ولحق به فهد بعد دقائق ، وجلس يتناول معهم قدحاً من القهوة ، عندما تناهى إلى سمعهم صوت الطائرة فنهض فهد وقال :

ـ عثمان ورجب . . هيا معي لتلتقطا هدية ستلقى لنا من السماء . .

لم يسألاه تفصيلاً وتبعاه دون تردد ، وسرعان ما انطلق بهم الزورق المطاطي وأبصارهم على الطائرة ، التي ظهرت قريبة من سطح الماء ، ثم أسقطت كيساً كبيراً من النايلون فاتجهوا إليه مسرعين ورفعوه بصعوبة إلى زورقهم ، وعادوا أدراجهم مسرعين .

وعندما أصبحوا فوق سطح الزورق الذري الجبار قال أحمد :

ـ لا أعرف كيف سأنقل إليهن أوامر رقم صفر . .

وعندما فعل لم يكن الأمر بكل هذا السوء الذي تصوره ، فقد سبب بعض الضيق للفتيات ، ومع ذلك انصعن له ، فما اعتدن عصيان أمر يصدره رقم صفر . .

* * *

مغامرات في الأمازون

أتموا ارتداء الأردية ، بعد أن قاموا بفحصها فحصاً دقيقاً ، وحانت لحظة الانطلاق وتحتم الفراق ، فظهر على الجميع التأثر وان حاولوا التماسك حتى لا يزداد الموقف مأساوية . .

والمتخلفون في الزورق ظلوا يتابعون الزورق المطاطي الصغير حتى حجبته الأشجار الكثيفة المتدلية عن الأنظار ، وكان المشهد بالنسبة لهم غريباً ، فإن البحر متداخل في الأرض مكوناً أخاديد متفاوتة في عمقها ومساحتها ، بينما أشجار الغابة تكسو التربة فتحجبها تماماً عن الأنظار . .

أشار أحمد إلى جانب ممهّد وقال :

ـ فلنرسو هنا . .

وكان اختياراً موفقاً ، فقد عثروا فيه على آثار نيران كانت مشتعلة من وقت قريب ، فقال عثمان الذي فحصها بعناية :

ـ إنها نار حديثة ، ومعنى ذلك أنهم بقوا هنا بعض الوقت قبل أن يتوغلوا في الغابة . .

أجابه بومدين :

ـ على أي حال فإنهم لم يسبقونا بمسافة طويلة ، وسنلحق بهم إذا ما تحركنا فوراً . .

وكان عثمان دليلهم في تتبع آثار العالم المجنون وجماعته . . وبالرغم من الآثار الواضحة ، التي تركوها على الأشجار والأعشاب ، عندما شقوا طريقهم قبل بعض الوقت ، كانت حركة عثمان وزملائه بطيئة بصورة ملحوظة خوفاً على ستراتهم من التمزق إذا ما احتكت بالأغصان الشائكة المتشابكة . .

وفجأة اتسع الدرب ، وتمكنوا من السير فيه بسهولة ويسر ، فقطعوا مسافة طويلة والآثار الواضحة تدل على أنهم يسيرون في الطريق الصحيح . .

وبعد أن عبروا منحنياً ، سبقتهم إليه القافلة ، وقع بصرهم على نهر صغير . . فتوقفوا في مكانهم وأخذوا يفحصون الشاطىء ليختاروا أنسب مكان للعبور . .

قال رجب ، مشيراً إلى بقعة من الشاطىء لا يفصلها عن الطرف المقابل إلا بضعة أمتار :

ـ أعتقد أن هذه البقعة هي أنسب مكان . . فلنعبر من هنا . .

أجابه أحمد مؤكداً رأيه :

ـ بالفعل إنه المكان المناسب . . هيا بنا . .

كان عثمان في المقدمة ، يقف في مكانه متأملاً الماء الجاري بعين فاحصة خبيرة ، وفجأة تصلبت ملامحه ورفع يده محذراً ثم قال :

ـ إنها صغيرة الحجم حقاً ، ولكنها أشد ضراوة من غيرها وأسرع في الانقضاض . .

نظروا إليه بدهشة ، وسأله فهد :

ـ عن أي شيء تتحدث . . ؟

أشار بإصبعه نحو حافة النهر حيث تكاثف العشب وقال :

ـ إنها تماسيح الأمازون الشرهة . .

وأمسك بغصن يابس وألقى به إلى الماء بقوة ، وسرعان ما انقضت عليه التماسيح الصغيرة من كل جانب وبأعداد لم تكن ظاهرة . .

كانوا يرقبونها مشدوهين، فقال رجب :

ـ يا رب السماوات . . لو أننا خضنا الماء لمزقتنا تمزيقاً . .

كان عثمان ينظر إلى الأشجار من حوله متفحصاً ، ثم قال :

ـ لا سبيل لنا الى العبور إلا بواسطة شجرة من هذه الأشجار . .

حذره فهد من خطورة ما يقترحه ، خشية أن يتلفوا أرديتهم ، ولكنه أقنعه قائلاً :

ـ الأمر سهل وهيّن . . نخلع أرديتنا ومتى أتممنا العبور عدنا وارتديناها مرة ثانية . .

سأله أحمد بحيرة :

ـ إني أتساءل . . كيف عبرت القافلة . . ؟

أجابه عثمان :

ـ أنظر إلى هذا الأثر تعرف أنهم عبروا على معبر كانوا يحملونه . .

وأشار إلى حفرتين متوازيتين ، وقال متابعاً :

ـ سنعثر ، متى عبرنا ، على حفرتين مشابهتين في الجانب الآخر . . إنه جسر خفيف يسهل تجميعه . .

وأشار فهد إلى شجرة غليظة الجذع وقال :

ـ أعتقد أن هذه الشجرة تصلح لتكون معبراً مناسباً .

كانت شجرة ضخمة فعلاً ، فقال أحمد :

ـ يمكننا بسهولة قصها بأشعة الليزر ، ولكن المشكلة في رفعها ، إنها ثقيلة جداً . .

دار عثمان حول الشجرة وقال :

ـ من هنا نسلط عليها الأشعة فيأتي سقوطها باتجاه النهر . .

ودون تردد أخرج مسدسه وأطلق الأشعة ، فقطعت الشجرة في لحظات مخلّفة رائحة احتراق ، وهوت أرضاً بصوت كالرعد ، ووصلت

أطرافها إلى الجانب الآخر . .

قال رجب بإعجاب :

ـ رائع يا عثمان . . رائع . .

تطلعّ عثمان إلى التماسيح التي ولت هاربة على غير هدى ، عند سقوط الشجرة ، ثم عادت لتتجمع ، مرة أخرى ، وهي تنظر إليهم وكأنها تتوعدهم لهذا الإزعاج . .

وكانت عملية العبور بعد ذلك سهلة إلى حد ما . فقد كانت الأغصان تشكل شبكة حماية فيما لو زلت قدم أحدهم . وتم العبور دون متاعب . .

قال بومدين ، بعد أن التقطوا أنفاسهم بعض الوقت :

ـ ليتنا نواصل طريقنا حتى ننتهي من هذه المهمة الكريهة قبل حلول المساء . .

وككلب الصيد الماهر ، التقطت عينا عثمان الآثر مرة أخرى ، فاندفعوا خلفه . . كان بومدين يسير خلف عثمان عندما همس دون أن يلتفت :

ـ لحظة يا عثمان . . لا تلتفتوا . . بعضهم يراقبنا من بين الأشجار . .

كانوا قد وصلوا إلى مكانه ، فقال :

ـ رأيت وجهاً يطل علينا ، وسرعان ما اختفى . .

امتدت أيديهم إلى أحزمتهم وشهروا مسدساتهم استعداداً . .

وهمس أحمد :

ـ هل أنت متأكد . . ؟

أجابه ، وهو لا يكف عنْ مراقبة الاشجار :

ـ كان وجهه يميل إلى الاصفرار وقد غطاه شعر كثيف ، واعتقد أنه من سكان البلاد . .

قال عثمان :

ـ إذاً ، لا مناص من تكوين دائرة ، لنكشف كل الاتجاهات ، وأن يكون تحركنا بطيئاً . .

لم يكن بد من تنفيذ ما أشار به عثمان ، وتكونت الدائرة ،وجوههم نحو خارجها وظهورهم باتجاه بعضها .

قال أحمد :

ـ لا ترددوا لحظة إذا ظهروا . . يجب أن نهاجمهم قبل أن يهاجمونا . .

أجابه رجب :

ـ لن تجدي أسلحتنا لو أطلقوا علينا أسلحتهم الفتاكة . . إن سهامهم الصغيرة المسمومة تصل إلى أهدافها دون أن يصدر عنها أي صوت . .

قال عثمان :

ـ لا تخشَ من هذه السهام ، ونحن داخل هذه الأردية السميكة . .

أجابه أحمد :

ـ قد قرأت عن هذه السهام أنها لا تتجاوز العشر سنتيمترات ، وهي تطلق من قصبة صغيرة بواسطة الفم . .

وقبل أن يتمادوا في الحديث توقف عثمان ، وأنزل غطاء الرأس والوجه السلكي على وجهه وقال :

ـ أسرعوا والبسوا الخوذات . .

كان منظرهم غريباً بزيهم الغريب ، وأغطية الرأس المصنوعة من السلك التي تغطي وجوههم . . كان عليهم ، بعد ارتدائها ، أن يتبادلوا الحديث بالإشارات ، أو يصيحوا بكل قواهم ، وهو أمر يتحاشونه حتى لا يجذب إليهم هؤلاءالأعداء غير المنظورين .

وفجأة انهالت عليهم مئات السهام ، التي علقت بأرديتهم المطاطية . رفع عثمان مسدسه وسلطه على الأشجار وضغط الزناد وهنا تكشف لهم الوضع ، فحذوا حذو عثمان وصبوا أشعة مسدساتهم على رؤوس الأشجار ومنتصفها . .

تهاوت أجساد عارية مزقتها الأشعة الرهيبة ، وكانت لحظة تردد فيها المهاجمون بعض الوقت ثم اختفوا كالاشباح . .

رفع عثمان غطاء وجهه وقال :

ـ لقد هربوا . .

كـانوا قـد وصلوا إلى خلف الأشجـار ، التي تعـرضت لـلأشعـة ، وشاهدوا المشهد البشع لبقـايا هؤلاء الأقـزام شبه العراة ، بوجـوههم التي تثير الرعب حتى وهي ميتة لا روح فيها . .

قال عثمان :

ـ سيتجمعون ويعودون مرة أخرى . . يجب أن نبتعد من هنا .

وسمعوا صوت أنين ، يأتي عن يمين أحمد ، فلما بحثـوا عن مصدره شاهدوا أحد الأقزام ملقى على الأرض يتلوى ألماً ، بعد أن أذابت الأشعة ساعده . .

انحنى عليه أحمد محاولاً مد يد المساعدة ، عندها استلقى القزم على ظهره ورفع قصبته إلى فمه ونفخ فيها بكل قوته ، فانطلق منها سهم استقر في مكان القلب من صدر أحمد ، ولو لم تكن أنسجة الأردية قوية لوصل السهم إلى صدره ونال منه . .

انقض عليه عثمان واختطف منه القصبة ، وألقاها بعيداً وهو يقول :

ـ أيها اللعين . . إنك تستحق الموت . .

كان عثمان يتحدث بالعربية ، ومع ذلك أجابه القزم بلغة لا يعرفها وهو يشير بيده السليمة عدة إشارات لم يفهموا ماذا يقصد من ورائها . .

قال عثمان ، وهو يتفرس في وجهه :

ـ إنه يريد أن يخبرنا بأمر . .

أجابه أحمد الذي انتزع السهم من مكانه بعنف :

ـ أي أمر يا عثمان . . ؟ لعنة الله عليه وعلى كل ما يريد قوله . . دعونا نواصل طريقنا فلا شك أنهم يعملون لحساب هذا العالم الأحمق . .

قال عثمان محذراً عندما شاهدهم ينتزعون السهام من أرديتهم :

ـ حذار أن يخدشكم سنّها، ففيه الموْت المؤكد .

أجابه أحمد بأسف :

ـ لقد أتلفوا الأردية . .

قال بومدين :

ـ لهذا علينا أن نستعملها فقط كدروع تقينا شر سهام هؤلاء القرود . .

أجابه فهد :

ـ لا أعتقد أنهم سيعاودون الكرة . .

قال أحمد الذي أخرج جهاز الإرسال :

ـ سأتصل بالزورق فربما اتصل بهم رقم صفر . .

قال عثمان على الفور :

ـ وما جدوى هذا الاتصال الآن . . يجب أن نبتعد من هنا أولاً . .

أجابه أحمد :

ـ لا يا عثمان . . لقد تلفت أرديتنا التي حرص رقم صفر على تزويدنا بها ، وسنكون أول ضحايا جرائيم هذا المعتوه . .

سأله عثمان بدهشة :

ـ أحمد . . هل أصابك الخوف . . ؟

التفت اليه بحدة وقال بغضب :

ـ إن حياتي وحياتكم لا قيمة لها إذا لزم الأمر ، ولكن هل نترك مصير البشرية معلقاً تحت رحمة هذا السفاح . . ؟ ماذا يحدث لو نفذ تهديده . . يجب أن نجد حلاً سريعاً ، ولن يأتينا إلا بإمكانيات رقم صفر . .

وتم الاتصال ، واستجابت وسيلة للنداء بسرعة فائقة تدل على مدى القلق ، الذي يخيم على من تخلّف في الزورق . .

سألها أحمد :

ـ ألم يتصل بك رقم صفر . . ؟

أجابته وسيلة :

ـ لا . . ولكن أين أنتم . . ؟

قال على عجل :

ـ لقد تعرضنا لهجوم من رجال القبائل المتوحشة ، ولكننا جميعاً بخير . . سأعاود الاتصال مرة أخرى . .

وما كاد يعيد الجهاز إلى جيبه حتى حدث أمر مذهل . . . فجأة ،

وفي لحظة واحدة ، برزت أجساد قوية يحمل أصحابها الرشاشات وأحاطوهم من كل جهة . .

هتف بهم صوت قوي ، يتحدث الإنجليزية ، من خلال مكبر للصوت :

ـ إرفعوا أيديكم فوق رؤوسكم . . أي محاولة للهرب معناها الموت لمحاولها . . تقدموا بهدوء فأنتم في سبيلكم لمقابلة سيد العالم العظيم . .

كان لصغر حجم مسدساتهم الفضل في عدم تنبههم لوجودها وإلا لانتزعوها منهم . . عاد الصوت يقول :

ـ إرفعوا أيديكم عالياً ، وسيروا إلى الأمام . .

انصاعوا للأمر باستسلام يائس ، فقد همس بومدين :

ـ لا جدوى من المقاومة ، فنحن داخل دائرة من الأوباش ، ويحمل كل فرد منهم رشاشاً . .

كان عثمان يسير في المؤخرة ، وعيناه تدوران في محاجرهما وقد استحال بياضهما إلى قطعة من جمر . . أهكذايسقطون كالأغبياء العجزة . . ؟شعر بفوهة الرشاش بين ضلوعه يستحثه حامله السير ، فتقدم كابتاً غضبه الذي وصل إلى قمته . .

عاد الصوت يقول :

ـ توقفوا . . هنا يمكننا الحديث . .

* * *

وجهاً لوجه مع الموت

وظهر أمامهم رجل قصير القامة ، بدين بعض الشيء . . . كان أصلع الرأس ، واسع العينين ، بصورة ملفتة للنظر . . تقدم منهم ، حتى أصبح على بعد متر واحد من مكان أحمد ، وقال بضع كلمات ، بلغة مجهولة ، أسرع على أثرها واحد من حاملي الرشاشات ليعود حاملاً مقعداً صغيراً . . جلس الرجل وهو ينقل البصر بينهم ، وأهدابه لا تكف عن حركتها العصبية المتلاحقة . .

أخيراً قال بالإنجليزية :

- من أنتم . . ؟ وما الذي أتى بكم إلى هنا . . ؟

انبرى رجب لإجابته فقال :

- إن كنت من ضباط الشرطة الذين هبوا لمطاردتنا ، فها نحن أمامك نسلم أنفسنا . .

انطلق الرجل يضحك بجنون ، حتى احتقن وجهه ، وقال :

ـ ضابط . . أنا ضابط . . ؟ يا لها من نكتة . .

أجابه رجب بسذاجة افتعلها ووجهه ينم عن البراءة :

ـ أي نكتة في قولي يا سيدي . . ألست أحد ضباط المطاردة . . ؟

كف الرجل عن الضحك وقال :

ـ هل تطاردكم الشرطة . . ولماذا . . أجيبوا بالصدق ولا تخافوا . . إذا ذكرتم حقيقة ما ارتكبتم فربما أمد لكم يد المساعدة . .

في سرعة البرق أجابه عثمان :

ـ سيدي ، لم يكن أمامنا حل آخر سوى الهرب والاختفاء في الغابة . . كان مقتل هذا الشرطي خطأً لم نقصده ، فقد بادرنا بإطلاق الرصاص علينا مما اضطرنا للدفاع عن أنفسنا ، وإلا لقتلونا عن آخرنا . .

عاد يستعرضهم ثم قال بفرح :

ـ سأضمكم إلي . . سأبسط عليكم حمايتي . . ستروقكم الحياة إلى جواري ، فعندي الأمان الذي تنشدونه والمال الوفير والقوة الجبارة . . نعم القوة . . أنا سيد هذا الكون . . هل تصدقون . . أنا سيده المطاع . .

تبادلوا نظرات بريئة في مظهرها ، وأدرك كل منهم المطلوب منه . . لقد ابتلع الرجل الطعم المختلق وصدقهم ، وسيضربون ضربتهم

القاضية بشيء من التروي ، لو أحسنوا التظاهر بالولاء له . .

قال المجنون بغضب :

ـ يبدو أنكم لا تصدقوني . . أنظروا إلى هناك . .

التفتوا إلى حيث أشار فشاهدوا صندوقاً ضخماً من المعدن ، مغلف بقضبان معدنية ، يتدلى منها عدة أقفال ضخمة . .

قال بزهو :

ـ أترون هذا الصندوق . . ؟ بداخله قوتي التي لا تقهر . . نعم لا تقهر . . لو فتحت هذا الغطاء وأطلقت جيوشي لقضيت على كل البشر في غضون شهور معدودة . .

قال عثمان بأدب مبالغ فيه :

ـ لا شك أنه سلاح نووي رهيب . . ولكن لمن ندين بانقاذنا يا سيدي . . إن سيدي لم يشرفنا بالتعرف عليه . .

أجابه بحدة وغضب :

ـ قلت لكم . . أنا سيد العالم . . أنا سيد الكون . .

أجابه أحمد بابتسامة :

ـ إنه شرف عظيم أن نكون ضمن رجال سيد العالم العظيم . .

ابتسم المجنون ابتسامة واسعة وقال :

ـ عندما نصل إلى مقري . . في قلب الغابة الآمن . . هناك

سيصلني ردهم على رسالتي ، فأما أن أسود على البشرية جميعاً أو أفني هذا العالم . .

وضحك بجنون وعظمة ، وقال بغرور :

ـ ولكني واثق أنهم سيستمعون إلى صوت العقل ، ويأتوني صاغرين . .

تظاهر عثمان بالخوف :

ـ سيحضرون إلى هنا . . سيقبضون علينا يا سيدي . . . أرجوك دعنا نهرب قبل أن يحضروا . .

ضحك المجنون وقال :

ـ أنتم من رجالي ، والويل لمن يمس شعرة واحدة من رؤوسكم . .

كانوا يبادلونه الحديث وأعينهم تحصي عدد حاملي الرشاشات . . إنهم عشرون مسلحاً ، وهو عدد يمكن القضاء عليه ، لو أتيحت لهم فرصة إخراج مسدساتهم ومفاجأتهم بأشعتها القاتلة .

قال عثمان بدهاء :

ـ سيدي . . هل مقرك بعيد من هنا . . ؟ إننا نكاد نهلك من شدة الجوع . .

أشار المجنون بيده ، فتقدم منه عملاق من أتباعه ، فاستقبله قائلاً :

ـ أعدوا لهم مائدة سريعة . . يجب أن تكون وليمة لائقة . . هيا أسرع . .

والتفت إليهم باسماً ، وقال :

ـ سأدخل الآن إلى مسكني حتى تفرغوا من تناول طعامكم ، ونواصل السير . .

وسكت لحظة وهو يتطلع إلى وجوههم بعينيه الجاحظتين ، ثم قال :

ـ لعلكم تتساءلون عن مسكني هذا ، أو كيف يكون لي مسكن ؟ الحق معكم . ولكن مسكني لا يفارقني أينما سرت . . لحظة . . سأحضره إلى هنا . .

تبادلوا نظرات متفاهمة . . إنهم حيال مجنون خطر لن يتردد لحظة واحدة في تنفيذ تهديده . .

صفق المجنون ، فأسرع إليه أحد أتباعه ، فتحدث إليه بلغته الغريبة هذه ، وعلى الفور هرول مسرعاً . وهنا التفت إليهم المجنون وقال :

ـ أمرته بإحضار المسكن . . إنه مكان مريح جداً وآمن من كل الأخطار . . نعم كل الأخطار حتى لو أطلقت قوتي المدمرة فلن أصاب منها بأذى . .

ورأوا مشهداً غريباً . . عدد من الرجال يدفعون أمامهم عربة عليها كرة ضخمة من المعدن . .

توقفت العربة ، وأسرع أحد الرجال وجذب سلماً من المعدن

الملتصق بالكرة ، فسار إليه المجنون وارتقاه حتى وصل إلى الكرة ، فأدار مقبضاً فتح على أثره باب فدخل . .

توقف مكانه وقال :

ـ تقدموا وانظروا . .

كان فهد أسرعهم إليه ، وشاهد بإعجاب شديد المسكن من الداخل . . إنه منزل متكامل مريح مكون من دائرة قطرها أربعة أمتار . . فقد أعدت الكرة إعداداً رائعاً لتصبح مسكناً جميلاً . .

فرك العالِم راحتيه بسرور وقال :

ـ هل أعجبكم مسكني . . أنظروا . . هذه النوافذ تمكني من مراقبة كل ما يدور في الخارج دون أن أفتح الباب . .

قال أحمد باعجاب صادق :

ـ إنه مكان رائع يا سيدي . . أتمنى لو امتلكت منزلاً مثله في بلادي . .

صفق المجنون طرباً وقال :

ـ بعد تناولكم الطعام سنلتقي لنتحدث حديثاً هاماً . . هيا . . هيا . . إذهبوا وتناولو طعامكم . .

غادروا الرجل مسرعين ، فأغلق على نفسه باب مسكنه العجيب ، وشاهدوا المائدة الحافلة فأسرعوا إليها ، وقال بومدين :

ـ كأننا في أكبر مطاعم بيروت . .

وانقضوا على الطعام كالوحوش ، وأثناء ذلك همس أحمد وهو

مستمر في تناول الطعام :

ـ إنها الفرصة التي ننتظرها . . أخرجوا مسدساتكم بهدوء ، ومتى وصل العد إلى ثلاثة أطلقوها على هؤلاء الحراس .

سأله عثمان بوجل :

ـ أخشى أن يصاب هذا الصندوق برصاصة طائشة فتنطلق من داخله تلك الجراثيم الرهيبة ، وسنكون أول الضحايا .

قال فهد :

ـ لا تضيعوا هذه الفرصة السانحة . .

أخرجوا مسدساتهم وقال أحمد :

ـ واحد . . إثنين . .

وقبل أن يقول ثلاثة سمعوا أصوات صرخات تأتي من داخل الغابة ، وعلى الأثر ظهر الآلاف من الأقزام يصرخون برعب ويلوحون بأيديهم ويرددون :

ـ كورانجا . . كورانجا . .

كانت دهشتهم بالغة عندما شاهدوا ما جرى للحراس ، عند سماعهم كلمات الاقزام ، فقد امتقعت وجوههم وجحظت عيونهم من شدة الرعب وألقوا بأسلحتهم ، وانطلقوا يعدون بكل قوتهم . .

كان المجنون يقف داخل عربته يصرخ بغضب ، منادياً

أعوانه ، ولكن لم يكن قد بقي منهم أحد ، بعد أن ولوا الأدبار . .

هتف بجنون :

ـ إنه النمل الأبيض . . اختفوا بسرعة . .

قال ذلك ، وأغلق باب كرته ووقف ينظر من نافذته الزجاجية إلى الخارج . .

هبوا من مكانهم كمن لسعه عقرب وقال عثمان :

ـ إلى النهر . .وأسرعوا . .

وصلوا إلى شاطىء النهر ، وأشار عثمان إلى جزيرة صغيرة تتوسط المجرى . . وقال :

ـ إلى هذه الجزيرة . .

كانت صرخات الرعب وأنين الألم تصلهم من ناحية الغابة ، فاندفعوا خلف عثمان ، الذي وضع قدمه في الماء ليسبر غور الماء ، ولكنه سحبها بسرعة البرق ، وقد علق بها عدد كبير من الأسماك الصغيرة . .

صرخ عثمان محذراً :

ـ يا إلهي . . انها أسراب سمك النوفو . . إنها أشد ضراوة من النمل . .

كانوا يتلفتون حولهم بجنون ويأس ، والأصوات تزداد قرباً ، مما

يدل على أن زحف النمل مستمر بسرعة . .

انحنى عثمان على جذع يابس واختبره على عجل ثم قال :

ـ أسرعوا . . إدفعوا به إلى الماء . .

وبعد جهد وصلوا به إلى الماء وأمسكوه من أحد طرفيه ودفعوا به حتى استقر على الجزيرة وإن كان يهتز مشكلاً خطراً محققاً على من يحاول العبور عليه . .

لم يفكر عثمان واستلقى ، منبطحاً على وجهه ، فوق الجذع وقال :

ـ حاولوا تثبيته بقدر الإمكان . .

وزحف ، والجذع يتمايل بشدة ، حتى وصل إلى الجزيرة ، فقفز كالقرد وأمسك الجذع بقوة وثبته في مكانه ، وصرخ بهم :

ـ هيا أسرعوا في العبور . .

اتخذوا الطريق عينه ، الذي سبقهم إليه عثمان ، ونجحوا في العبور زحفاً ، حتى إذا ما وصل بومدين ، وكان آخر من عبر ، دفعوا بالجذع إلى الماء فجرفه التيار بعيداً . .

جلسوا متجاورين يلتقطون أنفاسهم اللاهثة ، وقد استبد بهم الرعب . .

كان الزحف المدمر مستمراً مع أبشع صور العذاب . . . إن جحافل النمل الشرس الشرهة لا تبقي في طريقها على شيء . في ثوان معدودة يتجرد الجسد من اللحم ، ولا يبقى منه إلا عظام ناصعة

البياض ، والزحف مستمر . .

ووصلت طلائع النمل إلى شاطىء النهر . . كانوا يشاهدون أعدادها التي لا تحصى ، وهي تتكاثر بكثافة عند الشاطىء . .

قال عثمان :

ـ حمداً لله أننا على ظهر هذه الجزيرة . .

ولكن صرخة تحذير صدرت من فهد جعلته يبتلع باقي الكلام . . كان فهد ينظر إلى الجانب الآخر من الشاطىء . . فرأى النمل يتعانق ويتجمع في كرة سرعان ما أصبحت كرة ضخمة . .

هتف عثمان محذراً :

ـ سيعبرون التيار . . إلى مسدساتكم . . لا تتيحوا لهم فرصة التجمع . .

وسلط أشعة مسدسه اللايزرية على أول الكرات فأحرقتها وتلاشت على سطح الماء . ودار صراع رهيب بينهم وبين النمل الدؤوب ، الذي لا يكف عن تقديم المزيد من الكرات في إصرار غريب .

وفجأة ، وكأن أمراً صدر إليه ، كفّ النمل عن محاولاته ، وزحف بمحاذاة النهر في جحافل لا تبقي في طريقها على أي لون من ألوان الحياة .

وبقوا في مكانهم ثلاث ساعات كاملة ، وذلك السيل الجارف من النمل الفتاك لا ينقطع تدفقه ، حتى قال رجب :

ـ إنه لا ينتهي . . يا إلهي من أين جاء كل هذا العدد . .

أجابه أحمد :

ـ إنه يختفي سنوات طويلة ، يتكاثر خلالها بكثافة مذهلة ، حتى يصدر له الامر فيغادر بيوته ، التي ترتفع في الجو ارتفاعاً كبيراً يصل في بعض الأحيان إلى حجم بناية من عدة طوابق . .

قال بومدين :

ـ ترى ، ماذا جرى لهذا المجنون . . لا شك أنه أصبح عظاماً بدوره . .

أجابه رجب بقلق :

ـ يا إلهي . . لا نعرف ماذا جرى للصندوق . . ؟

تبادلوا نظرات تدل على الرعب . . حقاً . ماذا جرى لهذا الموت الرابض في الأنابيب والزجاجات بداخله . . ؟

قال فهد ، محاولاً تهدئة خواطرهم :

ـ حمداً لله أن الصندوق مصنوع من المعدن . . لقد التهم النمل حتى الأعشاب ، ولو لم يكن من المعدن لوقعت الواقعة . .

أجابه أحمد :

ـ ومع ذلك يجب أن نتأكد ، فإن كان لا يزال في مكانه أتلفناه .

نظر إليه رجب مذعوراً وقال :

ـ ماذا تقول يا أحمد . . ؟ كيف نقدم على فتحه .

قال بومدين :

ـ علينا أولاً العودة إلى الشاطىء . .

قال عثمان :

ـ دعونا نرى إن كانت هذه الأسماك اللعينة لا زالت هنا . .

وألقى بحصاة في الماء ، وسرعان ما تلقفتها آلاف الأسماك فهتف برعب :

ـ يا إلهي . . من أين تأتي هذه الشياطين ، وبكل هذه السرعة . ؟

قال فهد بحيرة :

ـ ماذا نفعل . . ؟ كيف نعبر إلى الطرف الآخر ؟ . .

أجاب عثمان بهدوء :

ـ يجب أن ننتظر حلول الظلام . .

سأله بومدين :

ـ وماذا يفيدنا الظلام . . ؟

رد عليه موضحاً :

ـ ستكون قد نامت ، وبذلك يمكننا خوض الماء إلى الشاطىء .

قال بومدين ساخراً :

ـ تنام . . وهل تنام الشياطين . . ؟ إنها شياطين ، هذه الأسماك الملعونة . .

لم يكن أمامهم من سبيل ، فانتظروا على مضض ، حتى بدأ الظلام يسود الكون . . كان عثمان دائباً على إلقاء الحصوات ، الواحدة بعد الاخرى ، وفي كل مرة كانت الأسماك تظهر ، بنفس الكثافة والكثرة ، حتى كاد يدب اليأس في قلوبهم ، عندها هتف عثمان بفرح :

ـ لقد ذهبت . . أنظروا . . لقد ذهبت . .

وألقى كل منهم بحصوة إلى الماء ، ومن كل جانب ، ولكن لم يظهر للأسماك أثر . .

ودون تردد ، قفز عثمان ، كمن أصيب بلوثة ، ونزل إلى الماء وعبره مسرعاً إلى الشاطىء ، فلحقوا به على عجل . .

كانت آثار ما خلفه النمل الرهيب تثير الاشمئزاز والهلع ، بعد أن سحق في زحفه الحياة بكل ألوانها . . وفجأة هتف فهد :

ـ دعونا نرى ماذا حدث لهذا المجنون . . إن مسكنه الكروي ظاهر هناك . .

أسرعوا إلى حيث وجدوا الكرة مغلقة بإحكام كما هي . . تقدموا بحذر ، وأطل عثمان من إحدى نوافذها وشاهد العالم ملقى على الأرض ، مفتوح العينين جاحظهما . وقد أمسك عنقه بكلتي يديه . .

قال عثمان :

ـ إنه لا يتحرك . . لقد مات . .

فتحوا الباب وسحبوه إلى الخارج ، ولكنه كان ميتاً لا روح فيه ، فقال رجب :

- ما أعدل السماء . .

تساءل بومدين :

- ولكن كيف مات . . ؟

أجابه أحمد ، الذي فحص جثة العالم بعناية :

- لقد مات مخنوقاً . .

وتركهم ودار حول الكرة ، ثم توقف عند جانب منها ، وقال :

- هذا يفسر كل شيء . .

أسرعوا إليه وشاهدوا ما رآه . . كانت فتحة التهوية مسدودة بعدد كبير من النمل الميت . .

قال أحمد بحيرة :

- حاول النمل الوصول إليه عن طريق فتحة التهوية ، وتراكم بأعداده الكبيرة فسد الفتحة وحبس عن العالم المجنون الهواء . .

أشار عثمان إلى النمل الميت وقال :

- وما الذي أمات النمل على هذه الصورة . . ؟

أجابه أحمد :

- مات مصعوقاً بتيار ، ادّخره العالِم للدفاع عن نفسه ، إذا ما هوجم في منزله ، فكان في القضاء على النمل قضاء على هذا السفاح . .

كان فهد أول من سمع صوت أزير محرك يقترب فهلّل بفرح :

- طائرة . . طائرة . .

وقفوا متجاورين ينظرون إلى السماء عندما لاحت طائرة هيليكوبتر كبيرة أخذت تقترب من مكانهم ، حتى أصبحت فوقهم تماما فهبطت إلى الارض . . أسرعوا إليها مهلّلين ، عندها فُتح باب الطائرة وهبط منها أربعة رجال يرتدون ملابس شبيهة بملابس رجال الفضاء ، ويحملون على ظهورهم أنابيب معدنية ، ويمسكون في أيديهم بقضبان من النحاس الأصفر متصلة بتلك الأنابيب بخراطيم مطاطية . .

وعندما نزل الرجال إلى الأرض لم يعيروا اهتماماً لأحمد وفرقته ، رغم وقوفهم أمام الطائرة ، بل ساروا مباشرة باتجاه الصندوق المعدني الذي يحوي الجراثيم الفتاكة بداخله . .

ومن أربع اتجاهات صبوا من القضبان النحاسية سائلاً على الصندوق حتى غمروه به ، وبعدها تقدم أحدهم وألقى فتيلاً على الأرض الغارقة في ذلك السائل ، ثم تراجع الجميع بعيداً وأشعلوا الفتيل . .

سرت النار بسرعة ووصلت إلى الصندوق فاشتعل بنار خضراء شديدة اللهب والحرارة بحيث شعروا بها تلفح وجوههم ، وهم بعيدون عنهما يقارب المائة متر . .

انتظر الرجال الأربعة حتى خبت النيران ، فرفعوا خوذهم فرحين

وأسرعوا عـائدين إلى الـطائرة حيث كـان الفتيان يقفـون بانتـظارهم ، فاستقبلوهم مهلّلين فرحين . .

قال أحد الرجال :

ـ لقد انتهى كل شيء وزال الخـطر نهائياً . . هيـا فرفـاقكم في قلق عليكم .

لم يكونوا بحاجة لتكـرار الدعـوة إذ سبقوهم إلى دخـول الطائـرة ، التي ارتفعت بعد قليل محلقة في السماء ، وطـارت باتجـاه المحيط حيث حـطت بهم فوق الـزورق ، وهنـاك وقف الجميـع في انتـظار وصـولهم بلهفة شديدة . وكان اللقاء مؤثراً جداً . .

وبعد لحظات قليلة تحرك فهد بالزورق مسـرعاً قبـل أن يتلقى الأمر من رقم صفر ، فلما أصبح في عـرض البحر تمت المكـالمة المنتـظرة . . قال رقم صفر :

ـ تهانيّ القلبية بسلامتكم . . كان جحيماً يسرح الموت فيه ويمرح . .

ضحك عثمان وقال :

ـ ومـع ذلك فقـد عدنـا سالمـين . . لقد خـدعناه وانتهـزنا فـرصـة انشغاله بغيرنا فنجحنا في الافلات منه . .

ضحك رقم صفر وقال :

ـ شياطين . .

تمت

سلسلة المغامرين الـ ١٣

وهـذه مجمـوعـة أخـرى من قصص الفتيـان ، تفخـر « دار النفـائس » بوضعها في متناول أيديهم .

إنها قصص « بوليسية » مثيرة . يلعب فيها الخيال دوراً بارزاً . وينتصر فيها العـدل على الـظلم ، والقانـون عـلى المجرمين .

في قصتنـا هذه نعـتَّزُ بالمحـافـظة عـلى العـرض الأدبي الممتـع ، والاهتمـام بالخلق الرفيع ، والشهامة العربيـة ، والشجاعة الأصيلة ، عسى أن يستفيد منها الجيل الجديد .




ARAB COMICS
عرب كوميكس
www.arabcomics.net





سلسلة المغامرين الـ ١٣

معمل الموت العائم

دار النفائس

محمد عبد الحميد الطرزي